كرسي الشيخ ابن عثيمين للدراسات الشرعية

جامعة القصيم Qassim University
كلية العلوم والآداب بعنيزة College of Science and Arts in Unaizah

السجل العلمي

لمؤتمر الشيخ العلامة

عبدالرحمن بن ناصر السعدي

آثاره العلمية والدعوية

الجزء الثالث

الأربعاء والخميس
٢٣-٢٤ ربيع الأول ١٤٤١

(8)

المنهج الدعوي عند العلامة السعدي من خلال خطبه

د. يونس بن عمر ضيف

الرعاة

مصرف الإنماء alinma bank

القاضي

سبكيم Sipchem EXCELLENCE everywhere

المنهج الدعوي عند العلامة السعدي
من خلال خطبه

د. يونس بن عمر بن عبدالله ضيف

أستاذ السنة المشارك بقسم الدراسات الإسلامية

بكلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد،

فإن الاهتمام بالعلماء، والنظر في آثارهم وعلومهم، والتمسك بغرزهم مطلب شرعي، وطريقة قويمة، كما نصت على ذلك نصوص الوحي.

وإن من أسباب تنزُّل الرَّحمات من ربِّ البريَّات ذكرُ الصالحين، كما قال الإمام سفيان بنُ عيينة -رحمه الله-: «عند ذكر الصالحين تتنزَّلُ الرَّحمات»[1].

ومن هذا المنطلق جاءت فكرة انعقاد مؤتمر: «**الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي: آثاره ومنهجه في الاجتهاد والتجديد والدعوة**» الذي تحتضنه جامعة القصيم مُمَثَّلةً بكلية العلوم والآداب في عنيزة.

ونظرا لما خلَّفه الشيخ السعدي -رحمه الله- من آثار علمية، ارتأيتُ أن أخصِّص ورقة مشاركتي في تناول خُطب الشيخ المنبرية لِما لها من أهمية بارزة في مجال الدعوة إلى الله، ولما تميز به الشيخ -رحمه الله- في هذه الخطب من نَفَسٍ علمي وحسٍّ مجتمعي ينمُّ على اهتمام الشيخ بالناس وبأحوال الأمة الإسلامية والنظر في واقعه ومجتمعه.

فعنَّ لي أن يكون عنوان مداخلتي: «**المنهج الدعوي عند العلامة السعدي من خلال خُطبه**».

وقد قدَّمتُ ورقتي هذه بتوطئة أُبرِز فيها أهمية الخُطبة وأثرها في الدعوة

---

(١) «معجم ابن المقرئ» (ص ٢٧)، «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» لأبي نعيم (٧/ ٢٨٥).

الإسلامية، ومن بعدها أُلقي الضوءَ على أهم معالم الدعوة عند العلامة السعدي -رحمه الله- من خلال خُطبه، باستنطاق مضامينها، والنظر في مُؤَدَّاها.

فأقول وبالله التوفيق:

لقد نشأت الخطبة قديما بقِدَم الإنسان، وكانت وسيلة من وسائل التواصل بين الأفراد والجماعات، وأسلوبا من أساليب الخطاب والإقناع.

فما من أمة من الأمم إلا واعتنت بهذا الجانب، وتميزت فيه، وكان العرب من الأمم التي أَوْلَت الخطابة أهمية بالغة، لِما أُوتُوا من قوة الكلمة، وبلاغة الوصف، وفصاحة اللسان، مما جعل للخطباء شَأْواً ومنزلةً لدى أقوامهم، تبوّؤوا من خلالها مكانة رفيعة في مجتمعاتهم، وقد عُرف منهم أناسٌ بذلك أمثال قسُّ بن ساعدة الإيادي، وخارجة بن سنان، وخويلد بن عمرو الغطفاني، وأكْثم بن صَيْفي وغيرهم كثير.

ولما بُعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، خيرُ مَن نطق بالضاد وأوتي جوامع الكلم، أفحم الخطباء وأعجز الشعراء، فكان -صلى الله عليه وسلم- مُؤيَّداً بالوحي محفوفاً بالعصمة، ولا يقول إلا حقا، فكانت خُطبُه -صلى الله عليه وسلم- كلُّها صادقة، وفي حدود الله واقفة، يدعو فيها الناس إلى عبادة الله تعالى، وحده لا شريك له، ومعرفته، ويأمرهم بأمر الله، وينهاهم عما حرَّم الله، ويحثُّهم على فضائل الأعمال، ويمنعهم عن مَساوِئها.

وكان -صلى الله عليه وسلم- إذا خطب، احْمَرَّت عيناه، وعَلا صوته كأنه منذر جيش يقول: صبَّحكم ومسَّاكم، ثم يأتي بموضوع الخطبة بكلماتٍ مختصراتٍ جامعاتٍ مانعات، فقد أُثِر عنه أنه قال: «**إن طول صلاة الرجل، وقِصر خطبته، مئنة من فقهه، فأطيلوا الصلاة، واقصُروا الخطبة، وإن من البيان سحرا**»[1].

---

(١) رواه مسلم: (كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة) «٢/ ٢٩٤» برقم (٨٦٩).

وقال -صلى الله عليه وسلم-: «**بُعثتُ بجوامع الكلم**»[1].

«ومن تأمَّل خُطبَ النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- وخُطبَ أصحابه، وجدها كفيلةً ببيان الهدى والتوحيد، وذكر صفات الربِّ جلَّ جلاله، وأصول الإيمان الكلية، والدعوة إلى الله، وذكر آلائه تعالى التي تُحبِّبُه إلى خلقه، وأيامه التي تُخوِّفُهم من بأسه، والأمر بذكره وشكره الذي يُحبِّبُهم إليه، فيذكرون من عظمة الله وصفاته وأسمائه ما يُحبِّبه إلى خلقه، ويأمرون من طاعته وشكره، وذكره ما يُحبِّبهم إليه، فينصرف السامعون وقد أحَبُّوه وأحَبَّهم...»[2].

ومن هذا المنطلق تُعدُّ الخطبة لصيقة بالدعوة إلى الله، امتثالا لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣]، فالخطبة سلاح الداعي إلى الله، وبها يُوصِل كلامه إلى الناس، ومن خلالها يدخل إلى قلوبهم.

ولما كان العلماء ورثة الأنبياء، فقد كان لعلمائنا رحمهم الله الاهتمام البالغ بالخطب المنبرية، يقتفون فيها المنهج النبوي في الدعوة إلى الله، وتعليم الناس دينَهم، وإرشادهم إلى كل خير في معاشهم ومعادهم.

ومن بين علمائنا الأجلاء الذين كان لهم حظٌّ وافرٌ في الإبلاغ والدعوة والإرشاد، والتعليم والتوجيه، الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي -رحمه الله-، الذي كانت خطبه المنبرية على وِفْقِ ما رَسَمه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وبَيَّنه.

---

(١) رواه البخاري (كتاب الجهاد والسير - باب قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «نصرت بالرعب مسيرة شهر» (٢٩٧٧).

(٢) «زاد المعاد» لابن القيم (١/ ٣٢٤).

«وإذا كان الدُّعاة سواء كانوا أفرادا أو جماعات يختلفون فيما يؤكدون عليه من موضوع دعوتهم -الإسلام- فمنهم من يؤكد على جانب العقيدة وضرورة تَنْقيتها من الشوائب والبدع، ومنهم من يؤكد على وجوب اتباع السنة الصحيحة حسب ما يفهمه من الاتباع الصحيح للسنة، ومنهم من يؤكد على تزكية النفس، ومنهم من يؤكد على الجانب السياسي وبيان حُكم الإسلام في علاقة الحاكم بالمحكوم والراعي بالرعية، ومنهم من يؤكد على الجهاد وبيان معناه»[1]، فإن العلاّمةَ السَّعديَّ -رحمه الله- قد ضَمَّ في خُطبه كلَّ هذه الجوانب وغيرها من الجوانب الأخرى المتعلقة بالدين والدنيا.

فالناظرُ في خُطب الشيخ -رحمه الله- يَلحظُ جَليّا مدى معرفته بأحوال الناس ومجتمعه بالإضافة إلى عُمقه المعرفي للشريعة الإسلامية، فالداعي إلى الله يتوجَّب عليه مخالطة الناس، والنظر في أحوالهم وسماع مشاكلهم وشكاويهم، وإجابة مُستفتيهم، وإرشاد حائرهم، والفَصْل بين الخصوم منهم..

المبنى العام لخطب الشيخ السعدي -رحمه الله-

جُمعت خُطبُ الشيخ السعدي -رحمه الله- ضمن مجموع مؤلفاته التي اعتنى بها وَرَثتُه، وأُفرِد الجزءُ الثالثُ والعشرون لها، وهي خُطبٌ ناهزت في عددها السبعينَ ومائة (١٧٠).

بعضها جَمَعَها مُصَنِّفُها -رحمه الله- ضمن كتاب سماه «**مجموع الخطب في المواضيع النافعة**»، وبعضها الآخر ضمن كتاب موسوم بـ«**الفواكه الشهية للخطب المنبرية**»، وأخرى في كتاب بعنوان: «**الخطب المنبرية على المناسبات**»، ثم أُلْحِقَ بهذه الكتب الثلاثة مجموعٌ رابع عُنوِن بـ«**خطب منوعة للشيخ**».

---

(١) «أصول الدعوة» (ص٤٧٣) لعبد الكريم زيدان.

وأبرز الشيخ -رحمه الله- في مقدمة كتابه الأول المنهجَ النبويَّ في الخطب المنبرية وبَيَّن أنواع خُطبه -صلى الله عليه وسلم- واصفاً إياها بالاختصار والاقتصار على ما يحصل به المقصود، ومبرزا أنه -صلى الله عليه وسلم- كان لا يتكلف السّجع ولا التعمُّق، بلْ جُلُّ قصده -صلى الله عليه وسلم- إبلاغ المعاني النافعة بأوضح العبارات وأقْصَرِها..

ثم عقَّب -رحمه الله- بعد ذلك بالقول موضحا سلوكه المنهجَ النَّبويَّ في الخُطب: «ولَمَّا كُنتُ في الخطابة كُنتُ أُنْشِئُ جهد طاقتي خطبا على هذه الطريقة، مُراعياً لأحوال الناس والوقت،...»[1].

ومن خلال هذه العبارة الأخيرة من الشيخ -رحمه الله- يستنبط أن من أهم معالم الدعوة إلى الله **مراعاة أحوال الناس، وأزمنتهم، والنظر في مشاكلهم، ومعرفة عاداتهم وتقاليدهم، وغيرها من الأمور المتصلة بمجتمعاتهم.**

ثم خَتَم الشيخ -رحمه الله- كتابه هذا بخاتمة مختصرة جَلاّ فيها مقصودَه من هذا الجَمْع، وبَيَّن فيها موضوعاتِ خُطبه، فقال -رحمه الله-: «**تَمَّ ما قصدنا جمعه من الخُطب النافعة المُحتوية على أهم المواضيع، الجامعة للعقائد والأخلاق والآداب الدينية والدنيوية بأوضح أسلوب وأبيَن العبارات المناسبة للوقت...**»اهـ[2].

ولنا في هذا الكلام وقْفةَ تأمُّلٍ لبيان منهج العلامة السعدي -رحمه الله- في خُطبه، وإبراز منهجه الدعوي في ذلك.

فقوله -رحمه الله-: «**الخطب النافعة المحتوية على أهم المواضيع...**» فيه بيان أن الداعي إلى الله عليه أن يُركّز جُهده على ما ينفعُ الناس في أمور دينهم ودنياهم،

---

(١) «مجموع مؤلفات الشيخ العلامة السعدي» (٢٣/ ٨).

(٢) نفس المصدر (٢٣/ ١٣٨).

ويحرص على إيراد أهم المواضيع التي تجمع شَمْلَ الأمة وليس على التَّفاهات أو الأخبار الزائفة التي يكون لها أثرٌ وخيمٌ على المجتمع أفرادا وجماعات.

وقوله -رحمه الله-: «**الجامعة للعقائد والأخلاق والآداب الدينية والدنيوية**»، فكما هو معلوم أن الشريعة الإسلامية تحوي العقائد والأحكام الأخلاق، ومن خصائصها جلبُ المصالح للعباد سواء الدينية أو الدنيوية، ودفع المفاسد والمضار عنهم.

والداعي أو الخطيب لِزاماً عليه أن يرقُب هذه الخصائصَ النَّبيلةَ للشريعة الإسلامية، ويلتزم المنهج النبوي في دعوته أو في خُطبه، ويُعظِّم أمر الشريعة في نفوس الناس، ويُرسِّخ العقيدة الصحيحة في قلوبهم، ويُعلِّمهم أمورَ دينهم، ويَسلُكَ بهم طريق الفضائل والمحاسن والأخلاق النبوية.

وهذا ما نلحظه في خُطب العلامة السعدي -رحمه الله- كما سيأتي بيانه بحول الله.

فالخطيب هو داع إلى الله بنور من الله على وفق مراد الله، وما جاء به رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، يحتاج إلى زاد علمي ومعرفي يؤهله إلى توجيه الناس وإرشادهم إلى ما يُقَوِّم دينهم ويُصَحِّح عقائدهم.

ثم خَتَم العلامة السعدي عباراته المنقولة آنفا بقوله: «**بأوضح أسلوب وأبين العبارات المناسبة للوقت...**».

وهذه الجملة الفريدة في معانيها من أهم المميزات التي يجب تَوَافُرُها في الخطيب والداعي، ويَرْعاها حَقَّ الرِّعاية، وهي توضيحُ أسلوبِ الخطاب، وانتقاءُ العبارات الواضحة التي يَفْهَمُها الناس في هذه الأزمنة المتأخرة، فلِكُلِّ زمانٍ مُستواهُ اللُّغوي كما له مُستواه المعرفي، وهذا هو المقصود بعبارة الشيخ -رحمه الله-:

«**الوقت**»؛ أي: إدراك واقع الناس ومداركهم.

فلا يأتي بالغريب الوَحْشِيِّ، ولا يتكلف في الألفاظ والعبارات ويتَقَعَّر في الكلام، ولا أحد يفهمه، بل ترى الحاضرين لا يفهمون عنه شيئا، ولا يستفيدون من خطبته، ويغلب عليهم المَلَلُ والضَّجَر.

أما عن المبنى العام لخطب الشيخ السعدي -رحمه الله- فهي خُطبٌ موجزةٌ ومختصرة، تؤدي غَرَضَها في مضامينها، يَسْتَهِلُّها الشيخ -رحمه الله- بالحمد والثناء على الله بالصلاة والسلام على رسول الله، ويبدأُها دائما بالحثِّ على تقوى الله بقوله: «**أما بعد، أيها الناس اتقوا الله تعالى**»، ثم يورد الآيات والأحاديث التي تناسب المقام وموضوعَ الخطبة، ثم يختم خطبته بالدعاء أو بآية قرآنية.

وهذا المنحى المذكور هو الرائج في كل خطب الشيخ -رحمه الله-، لا يخرج عنه قيد أنملة، وذلك بتَتَبُّعي لكل خطبه المطبوعة ضمن مجموع مؤلفاته. **معالم الدعوة في خطب العلامة السعدي -رحمه الله-**

أما عن معالم الدعوة في خطب الشيخ -رحمه الله-، ومنهجه في ذلك، فيتجلى في اقتدائه برسول الله -صلى الله عليه وسلم-، واضعا نصب عينيه قوله تعالى ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١]؛ هذه الآية الكريمة التي عَدَّها ابنُ كثير -رحمه الله- أصلا كبيرا في التأسي برسول الله -صلى الله عليه وسلم- في أقواله وأفعاله وأحواله[(١)].

ومن ثَمَّ نجدُ العلاّمةَ السعديَّ -رحمه الله- قد سَطَّر هذا المنهج النبوي في خطبه مُبرزاً فيها مكانته -رحمه الله- في الدعوة إلى الله تعالى.

فقد أَحَاطَتْ خُطب الشيخ -رحمه الله- بكل جوانب الشريعة الإسلامية عقيدة

(١) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٣٩١)

وأحكاما وسلوكا، مع الإلْمامِ بواقع الناس وأحوالهم ونوازلهم؛ خصوصا في منطقته بعنيزة، مراعيا في ذلك الحكمة والرحمة التي يتسم بها الداعي إلى الله في خطبه، والتي تجلت كذلك في اهتمام الشيخ بأحوال الأمة الإسلامية خارج وطنه المملكة العربية السعودية، وعَقْدِه خُطبا في شتى مجالات الحياة من تعليم وتربية وتوعية صحية مما قد يعُده أغمارُ اليوم والجهلة من الناس أمراً غيرَ مشروع وخارجاً عن مواضيع الخُطب المنبرية ومضامينها.

ففي جانب العقيدة ومسائلها، فقد كان لها النصيبُ الأوْفرُ ضِمْنَ خُطب العلامة السعدي -رحمه الله-، إذ أن العقيدة هي أُولى الأبواب التي يجب أن يدخلها الداعي إلى الله إذا أراد نجاح دعوته، فبدون العقيدة لا تصح أمور الدين، وهكذا نجد سَيِّدَ الدُّعاة محمدًا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد أَوْلى مسائل العقيدة في دعوته اهتماما بالغا: «وكذلك كانت خطبته -صلى الله عليه وسلم-، إنما هي تقرير لأصول الإيمان، من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه، وذكر الجنة والنار، وما أعدَّ اللهُ لأوليائه وأهل طاعته، وما أعَدَّ لأعدائه وأهل معصيته، فيملأ القلوبَ من خطبته إيمانا وتوحيدا، ومعرفة بالله وأيامه»[1].

وكذلك كانت خطب الشيخ السعدي -رحمه الله-، مَنْ تأمَّلَها استشعر هذا المسلك، وأيقن مدى حكمة الشيخ وعلمه في دعوته، وتقديمه الأَوْلى فالأَوْلى، وحرصه على تصحيح عقائد الناس بأبْيَن العبارات وأخْصرها.

وهذه بعض عناوين خطبه -رحمه الله- تؤكد ما أشرنا إليه آنفاً:

- خطبة تحتوي على شرح بعض الأسماء الحسنى على وجه الاختصار والتَّنْبيه.
- خطبة في الإشارة إلى التوحيد ووجوب الشكر.

---

(١) «زاد المعاد» (١/ ٣٢٤).

- خطبة في أن الجنة حُفَّت بالمكاره والنار بالشهوات.
- خطبة في تقوى الله وبيان علاماتها.
- خطبة في بيان لطفه بالعباد عند المكاره.
- خطبة في التوكل.
- خطبة في الحث على الدعاء.
- خطبة في التوسل إلى الله بالوسائل النافعة.
- خطبة في ذكر صفة الجنة وأهلها.
- خطبة في أصول الدين.
- خطبة في معرفة الله.

وغيرها من العناوين التي تؤكد حرص العلامة السعدي -رحمه الله- على ربط الناس بخالقهم سبحانه، والإشارة إلى حقوقه جَلَّ وعلا على عباده.

وأسْرُدُ في هذا السياق نموذجًا لخُطب الشيخ العقديةِ يبرز فيها أهمية التوحيد، متضمنا إياها عدة أسئلة تقريرية لا تحتاج إلى أجوبة، وقد عنون هذه الخطبة بقوله -رحمه الله-: «**خطبة في التوحيد**»، يقول فيها بعد الحمد والثناء على الله، والصلاة والسلام على رسوله: «أما بعد، أيها الناس ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [البقرة: ٢١] من الذي أوْجَدكم من العَدم، وغَمَركم بسَوابغ النِّعَم؟ مَن الذي صرف عنكم المكاره والمضارَّ والنِّقَم؟ من الذي أعطاكم العقول والأسماع والأبصار؟ من الذي سخر لكم الليل والنهار؟ من الذي فلق الحب عن الزروع وعن الأشجار النوى؟ من الذي أحيا الأرض بعد موتها بما أنزل عليها من غيث السماء؟ من الذي يصوركم في الأرحام كما يشاء؟ من الذي أمسك السماوات والأرض عن الزوال؟ من الذي أحكم خلقها وأحسن نظامها فلا يُرى فيها خلل ولا إخلال؟ من الذي فجر الأرض بالأنهار والعيون؟ وأخرج الثمار

اللذيذة والفواكه الشهية من يابس الغصون؟

أمَا ذلك إبداع من يقول للشيء: كن فيكون؟ من الذي خلق المخلوقات فعدّلها وأحسنها وسوى؟ وقدر أقدارا وإليها وجه أهلها وهدى؟ من الذي خلق السماء وبناها؟ ورفع سمكها فسواها؟ وأغطش ليلها وأخرج ضحاها؟ والأرض بعد ذلك دحاها؟ أخرج منها ماءها ومرعاها؟ والجبال أرساها متاعا لكم ولأنعامكم؟»[1].

كل هذه الأسئلة التي ضمَّنَها الشيخُ -رحمه الله- في هذه الخطبة لا ينتظر أجوبتها من الحاضرين في المسجد، بل كل واحد منهم إلا ويقر بجواب واحد، أنه الله، وهو مسلك بديع من العلامة السعدي في خطبته وهو إلقاء أسئلةٍ الهدفُ منه تقريع الأسماع، وتنبيه الغافل، وإيقاظ الوسنان وفتح القلوب.

مسلكٌ استقاه الشيخ -رحمه الله- من أساليب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في التربية والتعليم، أن يطرح السؤال على الحاضرين كي ينتبهوا لما يقال لهم.

ثم بعد هذه الأسئلة يورد العلامة السعدي -رحمه الله- بقيةَ الخطبة تأكيدا لما ورد في تلكم الأسئلة، ليخلص بعدها بنتيجة أن المستحق للعبادة هو الحقُّ وحده لا شريك له، ثم جعل يحث المسلمين للقيام بهذا الأمر العظيم.

فيقول -رحمه الله-: «فجَلَّ ملكاً عظيما، ورَبّاً وإلها، إلهٌ قامت البراهين القاطعة على وحدانيته، وشهدت الموجودات ببديع حكمته وسعة علمه ورحمته! وخلق المكلفين لعبادته ومعرفته، فقوموا -رحمكم الله- بما خُلقتم له فإنكم عن ذلك مسئولون، واستعدوا للقاء ربكم فإنكم إليه راجعون، وخذوا ما استطعتم من الباقيات الصالحات، وتوبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم

(١) «مجموع مؤلفات الشيخ العلامة السعدي» (٢٣/ ٢٦٨).

السيئات، ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار فيها المساكن الطيبات، أما ترون الله يتابع عليكم نعمه لتشكروه؟ ويذكركم بآلائه لتعرفوه وتذكروه؟ ألا بذكر الله تطمئن القلوب، وبذكره تغفر الخطايا ويحصل كل مطلوب»[1].

وأما الجانب الثاني من جوانب الشريعة الإسلامية التي أولاها العلامة السعدي -رحمه الله- اهتمامه فهو جانب الأحكام الفقهية وما يتعلق به مِن فروع، فالخطيب كما الداعي يتأكد عليهما أن يُعلِّمان الناس ما تستقيم به عباداتهم وفق ما جاء به الشرع الحكيم، وما بينه الرسول الكريم عليه أفضل صلاة وأزكى تسليم، الذي بُعث معلما للخير، وأفضل الخير بعد توحيد الله، تعليم الناس الأحكام، ولهذا وردت خطبٌ كثيرة للشيخ في مجال التعليم والحث عليه لأنه وظيفة الداعي والخطيب والمعلم والمربي، متمثلا في ذلك الأحاديث النبوية الدالة على وجوب التعلم وفضله، وفضل نشره.

فمن الخطب التي خصَّها الشيخ السعدي للعلم وفضل التعلم:

- خطبة في الحث على العلم.
- خطبة في العلم أيضا.
- خطبة في الفرق بين العلم النافع والعلم الضار.

أما خطب الشيخ -رحمه الله- المتعلقة بالأحكام الشرعية والمسائل الفقهية فكثيرة وفيرة. أذكر بعض

عناوينها ثم أُتبعها بنموذج يُجسِّد الأمر واقعا، ويبرز اهتمام الشيخ -رحمه الله- بتعليم الناس أمور دينهم مما قد يراه البعض من القشور أو من المسائل الصغيرة البَدَهِيّة المعروفة عند الصغار قبل الكبار، وَايْمُ الله إن مسلك الشيخ -رحمه الله- في

(١) «مجموع مؤلفات الشيخ العلامة السعدي» (٢٣/ ٢٦٩).

التعليم هو مسلكُ الرَّبَّانِيِّين، ومسلك الدُّعاة الصادقين.

وهذه بعض عناوين الخطب التي ألمعتُ إليها قبل قليل:

- خطبة في الحث على تكميل الصلاة.
- خطبة في الحث على الجمعة والجماعة.
- خطبة في استقبال رمضان بما يناسبه.
- خطبة في فضل العشر الأخير من رمضان.
- خطبة في الحث على صدقة الفطر.
- خطبة في الحج.
- خطبة في الحض على الزكاة.
- خطبة في الزجر عن البَخْس والمعاملات المحرمة.
- خطبة في الزجر عن إضاعة الصلاة.
- خطبة في الوتر وغيره.

أما الخطبة التي سأُمَثِّل بها في باب الأحكام الشرعية، خطبة وسَمَها الشيخ السعدي بقوله: «**خطبة في أحكام فقهية**»، أشبه ما تكون بدرسٍ فقهيٍّ، يوضح من خلالها الشيخ -رحمه الله- أمورَ الطهارة ومسائل الصلاة بأوجز عبارة، وفي هذا دليل على الحِسِّ الدعوي للعلامة السعدي -رحمه الله-، ومدى خبرته بأحوال الناس وما يحتاجونها لإصلاح دينهم ودنياهم من باب التذكير والتنبيه.

يقول -رحمه الله-: «أيها الناس اتقوا الله وانتبهوا ونبهوا إخوانكم على ما يحتاجونه من مسائل الأحكام، فمَنْ ذَكَّر أخاه مسألةً واحدةً كُتب له الأجر عند الملك العلام.

واعلموا أن الأصل طهارة الأشياء كلها، فمن أصابه ماء من ميزابٍ أو رطوبة،

أو وَطِئَ رَوْثًا أو أرضًا لا يدري عنها؛ فجميع ذلك محكوم له بالطهارة.

ومن صلى وهو محدث ناسيا حدثه أعاد الصلاة، ومن صلى وعلى ثوبه أو بدنه نجاسة جهلها أو نسيها ولم يدر عنها حتى فرغ، فلا إعادة عليه، ومن عدم الماء أو تضرر باستعماله تيمم بالتراب.

وعليه أن يستوعب بالمسح جميع وجهه وكفيه وينوي بتيممه جميع حدث عليه، ومَن كان مريضا وقد تلوث بدنه وثيابه بالنجاسة؛ فإن كان يقدر على خلعها وجب عليه ألا يصلي إلا على طهارة، ومن كان لا يقدر على ذلك فليصل على حسب حاله وصلاته تامة لا إعادة عليه، ومن أدرك من صلاة الجمعة ركعة أتمها جمعة، وإن أدرك أقل من ركعة نواها وصلاها ظهرا، ومن كانت عليه فوائت يقضيها فليُبادر إلى قضائها مرتبا.

وقد نهى -صلى الله عليه وسلم- عن النفل في ثلاثة أوقات: من الفجر حتى ترتفع الشمس قيد رمح، ومن صلاة العصر إلى غروب الشمس وعند زوال الشمس حتى تزول إلا ما استثناه الشارع، ومن جاء منكم والإمام راكع فعليه أن يكبر تكبيرة الإحرام وهو قائم قبل أن يهوي إلى الركوع، فإن كبر وهو يهوي ففريضته غير صحيحة، ومن فاته شيء من الصلاة فلا يحل له أن يقوم لقضاء ما فاته حتى يفرغ الإمام من التسليم، فإن قام قبل أن يسلم التسليمة الثانية ولم يعد انقلبت صلاته نفلا، ومن جاء منكم والإمام يخطب فلا يجلس حتى يصلي ركعتين وكذلك في غير الخطبة.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٠]. بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم»[1].

(١) «مجموع مؤلفات الشيخ العلامة السعدي» (٢٣/ ٢٤٠-٢٤١).

وأما الجانب الثالث ضِمْنَ جوانب الشريعة الإسلامية فهو جانب الأخلاق والأدب، وهو جانب مهم في تدين الإنسان، فقد ورد عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[1]، فالأخلاق قسمان: أخلاق حسنة صالحة، وأخلاق سيئة ظالمة، ونبينا -صلى الله عليه وسلم- صاحب الخلق العظيم، بُعث ليصحح للناس أخلاقهم من باب التَّخلية والتَّحلية، فكانت كلماته -صلى الله عليه وسلم- وتوجيهاته في كثير من الأحيان متضمنة لهذا المقصد الحسن. وفي نفس السياق يقول ابن القيم -رحمه الله-: «الدِّين كله خُلُق، فمن زاد عليك في الخُلُق زاد عليك في الدين»[2].

ولهذا اعتنى العلامة السعدي -رحمه الله- بهذا الجانب في كثير من خطبه المنبرية، لأنه يعلم يقينا حاجة الناس إلى قيم الأخلاق وأهميتها في صلاح المجتمعات وبناء الأمم. ومن خلال عناوين خطب الشيخ -رحمه الله- نلحظ هذا الأمر في تنوع مواضيعها المدرجة في باب الأخلاق والآداب.

فمن هذه العناوين:

- خطبة في العفو والإعراض عن الجاهلين.
- خطبة في بر الوالدين وصلة الأرحام.
- خطبة في أمراض القلوب وأدويتها.
- خطبة في الحث على الصبر.
- خطبة في البَداءة باليمين.
- خطبة فيها آداب الشرع في السلام والتحية وغيرها.

(١) أخرجه البيهقي في «سننه الكبير» (١٠ / ١٩١) (كتاب الشهادات، باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها)، برقم: (٢٠٨٣٩)، والبزار في «مسنده» برقم: (٨٩٤٩).

(٢)()«مدارج السالكين» (٢/ ٢٩٤).

- خطبة في النصيحة.
- خطبة في الصدق.
- خطبة في حسن الخلق.

وأنا ذاكرٌ هنا خطبة العنوان الأخير، شاهدا على هذا الباب، باب الأخلاق.

يقول فيها العلامة السعدي -رحمه الله-: «أيها الناس اتقوا الله تعالى بالقيام بحقوقه وحقوق العباد، وبكمال المتابعة للرسول وقوة الإخلاص للرب الجواد، قال -صلى الله عليه وسلم-: «**أكْمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا**»[1]، فعاشروا -رحمكم الله - الخَلْق بالخُلُق الجميل، وبالتواضع لهم في كل كثير وقليل، واعقدوا قلوبكم عقدا جازما على محبة جميع المسلمين، والتقرب بذلك إلى رب العالمين، واجتهدوا في تحقيقها ودفع ما ينافيها، واعملوا على كل ما يحققها ويكملها وينميها، واتخذوا المؤمنين إخوانا، وعلى الخير مساعدين وأعوانا.

ومتى رأيتم قلوبكم منطوية على خلاف ذلك فبادروا إلى زواله، وسلوا ربكم ألا يجعل فيها غِلاً للذين آمنوا تحظوا بنواله، وميزوا في هذه المحبة من لهم في الإسلام مقام جليل؛ كعلمائهم وولاتهم العادلين وعبادهم، فتمام محبة الله محبة أوليائه بحسب مقاماتهم وعملهم واجتهادهم، ووَطِّنوا نفوسكم على ما ينالكم من الناس من الأذى وقابلوه بالإحسان، وتقرَّبوا بذلك إلى الله راجين فضل الكريم المنَّان، فمِن كمال حسن الخلق أن تعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك، وتحسن

---

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١ / ٢٩٣) برقم: (٩١) (كتاب العلم، ذكر البيان بأن من خيار الناس من حسن خلقه في فقهه)، وأبو داود في «سننه» (٤ / ٣٥٤) برقم: (٤٦٨٢) (كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه) والترمذي في «سننه» (٢ / ٤٥٤) برقم: (١١٦٢) (أبواب الرضاع عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها).

الخلـق لمن أبغضك وهجرك، فإن الجزاء من جنـس العمل، فمن عفا عن عباد الله عفا الله عنه، ومن سـامحهم سـامحه الله، ومن أغضى معايبهم ومسـاوئهم سـتر الله عليه، فاجعل كبير المسـلمين بمنزلة أبيـك، وصغيرهم بمنزلة ابنك ونظيرهم محل أخيك، وتكلم مع كل احد منهم بما يناسـب الحال، فمع العلماء بالتعلم والتعليم، وهكـذا مع الجهـال، ومع الصغار باللطـف، ومع الفقراء بالرحمـة والعطف، ومع النظراء بالأدب والظرف.

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم»[(١)].

فهذه إذن، أهم الملامح والإشـارات المتعلقة بالشـريعة الإسـلامية بأقسامها الثلاث في خطب العلامة السعدي -رحمه الله-.

ثم بعد أن سَـلَّطتُ الضـوء على نماذج من خطب الشـيخ -رحمه الله-، أنتقل إلى إبراز أهم ما اتصف به السعدي -رحمه الله- من أخلاق الداعية، والتي لامَسْتُها من خلال تَتَبُّعي لخُطَبِه المنبرية.

الحِكمة:

فأول ميزة يتحلى بها الداعي في دعوته الحكمة، ويُعرفها الشيخ السعدي بقوله: "هـي وَضْع الأشـياء مواضعها، وتنزيل الأمور منازلها، والإقـدام في مَحَل الإقدام، والإحجـام في موضـع الإحجام"[(٢)]. وهـي من الأصول المهمة في بـاب الدعوة. فلا بـد أن يكون الداعي إلى الله حكيمـاً في دعوتـه يعرف كيف يتصرف، وكيف يتكلم،

(١) «مجموع مؤلفات الشيخ العلامة السعدي» (٢٣/ ٢٢٧-٢٢٨).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص١٤٠).

ومتى، فيضع الشيء في محله وفق منظور شرعي سديد، وهذا ما يعرفه القاصي والداني من كتابات العلامة السعدي -رحمه الله-، أو ما يحكيه عنه تلامذته ومُحِبُّوه.

ومثالا للحكمة في خطب الشيخ -رحمه الله-، أنه كان أول من استعمل مُكبِّر الصوت في المسجد بنَجْد، فرأى استنكار بعض الناس لذلك وهو الشيخ العالم المتدين، فما كان منه إلا أن أعدَّ خطبة في هذا الموضوع عَنْوَنها -رحمه الله- بقوله: «**خطبة حين وضع مكبر الصوت في المسجد واستنكره بعض الناس**»، فبعد أن استهلَّ خطبته هذه ببيان عناية الإسلام باستعمال المخترعات الحديثة من أسلحة ومَرْكَبات وغيرها من الأمور التي تساعد في تسهيل معاش الناس، قال -رحمه الله-: «فكذلك إيصال الأصوات والمقالات النافعة إلى الأمكنة البعيدة، من برقيات، وتليفونات وغيرها، داخل في أمر الله ورسوله بتبليغ الحق إلى الخلق، فإن إيصال الحق والكلام النافع بالوسائل المتنوعة من نعم الله، وترقية الصنائع والمخترعات لتحصيل المصالح الدينية والدنيوية من الجهاد في سبيل الله.

وقد أخبر -صلى الله عليه وسلم- أنه لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان[1]، ومن ضرورة تقارب الزمان تقارب المكان، وذلك بالوسائل التي قربت المواصلات بين البلدان والسكان، قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت:٥٣]...»[2].

فدلت هذه الحادثة وهذه الخطبة على تَعَقُّلٍ من الشيخ تجاه المستنكرين من

---

(١) (إشارة إلى الحديث الذي أخرجه الإمام في مسنده رقم:(١٠٥٦٠) بإسناد صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:» لا تقوم الساعة حتى يتقاربَ الزمان، فتكونَ السنة كالشهر، ويكون الشهر كالجمعة، وتكون الجمعةُ كاليوم، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كاحتراق السَّعَفَة».

(٢) «مجموع مؤلفات الشيخ العلامة السعدي». (٢٣/ ٣٥١-٣٥٢).

النـاس، وذلك بحكمته في دعوته، فاسـتغل الحـدث لتعليم الناس شـيئا يجهلونه، وإرشادهم لما هو الحق والصواب، ثم ربطهم بالشرع والدليل.

وشـبيه بهذه القصة حين حـلَّ الجراد علـى الناس واجتاح كثيـرا من ثمارهم، فكتـب الشـيخ في ذلك خطبة، واسـتغل الحدث لِوَعْظ النـاس وتذكيرهم بأيام الله، والإقلاع عن الذنوب وعقد التوبة.

فمِمَّـا قاله -رحمه الله- في هذه الخطبة: «انظروا إلى هذا الجند الضعيف كيف يَسْـتَبِدُّ بأرزاق الآدميِّين والبهائم، ليعرف العبـاد فقرهم إلى ربهم وضعفهم عن هذا الجند الغاشـم، فليس له سـوى لطف الكريم دافعٌ ومقاوم، ومع ذلك على كثرته لو سلط لَضَرَّهم ضررا كبيرا، ولكن الله لطف وخفف، فكان الضرر يسيرا، فلئن أتلف كثيـرا من الخضر والثمار، فلقد بقي للعباد خير كثير ونِعَمٌ غِزار، ومع ذلك فليُبْشـر الصابرون المحتسـبون بالثواب الآجل والخلف العاجل، وبالبر والإحسان والخير المتواصـل، ولْيَضْرعوا إلى ربهم في دفع المـكاره والنوازل، وليتوبوا إليه من جميع الذنوب، ويلجئوا في أمورهم كلها إلى علام الغيوب...»[1].

الرَّحمة:

الرحمة «هي رِقَّة القلب وصَفْوه ورحمته للخلق، وزوال قسوته وغِلْظته»[2].

وتعتـبر الرحمة من الدعائم التي تقوم عليها الدعـوة الصحيحة، فعلى الداعي إلى الله أن يكون رحيما بالخلق، تأسيا برسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

«فرَأْفتُـه -صلـى الله عليه وسـلم- ورحمته لا يُقاربـه فيها أحدٌ، وهـذه الرَّأْفة

(١) «مجموع مؤلفات الشيخ العلامة السعدي» (٢٣/ ٣٢٥-٣٢٦).

(٢) «فتح الرحيم الملك العلام» (٣/ ٧٥٩) ضمن «مجموع مؤلفات الشيخ العلامة السعدي».

والرحمة ظهرت آثارها في معاملته للخلق».[1]

فهذه السِّمة نجدها بقوة، ونلمسُها في خطب الشيخ السعدي -رحمه الله-، ورحمتُه -رحمه الله- تتجلى في إرادته الخير للناس، وذلك بحَثِّهم على استعمال الأدوية الناجعة لكشف الهموم والأحزان، كخطبته حول التوكل[2]، وخطبته في الحث على الدعاء[3]، وخطبته في انتظار الفرج وقت الشدة[4]...

ومن هذا الباب ومما له به علاقة وطيدة، مسألة **التكافل الاجتماعي**، إذ هي داخلة في باب الرحمة. فقد أعطى الشيخ السعدي -رحمه الله- حَيِّزا مُهِمّا لهذه المسألة، فكتب على سبيل المثال خطبة في حث الأغنياء على الإحسان[5]، وخطبة في الحث على الإحسان حين كان الجَدْب في البوادي وتَلَفَتْ به أموال الناس، وخطبة أخرى في الحث على مؤونة الأقارب وغيرهم[6]...

فقه الواقع:

تُعدُّ معرفة الواقع من الأمور التي يُوليها الداعي إلى الله اهتمامه، فلا يمكنه أن يكون بمَعْزِلٍ عما يدور في مجتمعه، بل لا بد عليه أن يكون عارفا بواقعه المعاش، وعارفا بأحوال الناس، فيُعلِّمهم ما يجهلون، ويُصحِّح لهم ما فيه يُخطئون، ويَعِظُهم حين يغفلون.

---

(١) «فتح الرحيم الملك العلام» (٣/ ٧٥٩) ضمن «مجموع مؤلفات الشيخ العلامة السعدي».

(٢) «مجموع مؤلفات الشيخ العلامة السعدي» (٢٣/ ١٥٥).

(٣) نفس المصدر (٢٣/ ١٦٣).

(٤) نفس المصدر (٢٣/ ١٦٩).

(٥) نفس المصدر (٢٣/ ٢٤).

(٦) نفس المصدر (٢٣/ ٢٣٢).

وهكـذا تكون وظيفة الخطيب، ينظر في واقعه ويتَفَهَّمُه، ويُنشِـئ خطبه في إطار حدثٍ بارز يهُمُّ المجتمع، ويشـغَلُ بال الناس. كما أنه من وظيفته في إعداد الخُطبة أن يتجنَّـب مواضيـع لم يعُد لها ذِكرٌ في الواقع، أو أنهـا وقعت في مكان ما من العالم ومُرتبطةٌ بذاك المكان، ولا يجب إنزالها في مكان آخر.

وهذا ما كان يسـعى إليه العلامة السعدي -رحمه الله- في خطبه، يُنَوِّر العقول، ويُصحِّح المفاهيم، ويرشد الناس لما فيه خيرُ دنياهم وأُخْراهم.

فمِن ضِمْن هذه الخُطب التي شغلت هذا الحيز من مجال الدعوة:

- خطبة في تيسير الجمع بين أمور الدين والدنيا[(١)].
- خطبة في نعمة الله برفع الجراد[(٢)].
- خطبة في أيام جذاذ الثمار[(٣)].
- خطبة في وجوب دفع الأذية عن الناس[(٤)].
- خطبة حين حلَّ الجراد على الناس واجتاح كثيرا من أثمارهم[(٥)].
- خطبة في الاعتدال باستعمال العلاجات[(٦)].
- خطبة حين زادت الأمطار وخيف الضرر ثم أقلعت واستبشر الناس[(٧)].

---

(١) «مجموع مؤلفات الشيخ العلامة السعدي» (٢٣/ ١١٠).

(٢) نفس المصدر (٢٣/ ١١٢).

(٣) نفس المصدر (٢٣/ ١٢٠).

(٤) نفس المصدر (٢٣/ ٢٥٠).

(٥) نفس المصدر (٢٣/ ٣٢٥).

(٦) نفس المصدر (٢٣/ ٣٣٤).

(٧) نفس المصدر (٢٣/ ٣٤٩).

- خطبة في نفع العلاجات للأمراض خصوصا الجدري[1].
- خطبة في شكر الوزير ابن سليمان على تعميم مياه الشرب على البلد[2].

الاهتمام بأحوال الأمة الإسلامية:

لا يقتصر اهتمام الداعي على مجتمعه ووطنه فحسب، بل يتعدى ذلك إلى اهتمامه بأحوال الأمة الإسلامية جمعاء، وقضاياها العامة، باعتبار أن المسلمين أمة واحدة، وجسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى عليه بالسهر والحمى.

فمن الخطب المحفوظة لدينا للشيخ السعدي -رحمه الله- مما لها صلة بهذا الموضوع ما سطره الشيخ حول حدث دخول اليهود إلى الأراضي المصرية، واحتلال فرنسا للجزائر، ومن هذه الخطب ما هو مؤرخ بتاريخ (٤/ ٣/ ١٣٧٩هـ) وهذه عناوين هذه الخطب:

- خطبة في حث المسلمين على مساعدة المجاهدين بالدعاء وغيره[3].
- خطبة تتعلق بالموقف الحاضر[4].
- خطبة عن انسحاب الأعداء من الأراضي المصرية[5].

الإصلاح:

مدار الدعوة وهدفها الأسمى هو الإصلاح، إصلاح عقائد الناس، وعباداتهم، وأخلاقهم، وغيرها من الجوانب التي ذَكَرْنا سَلَفاً في هذا البحث.

(١) نفس المصدر (٢٣/ ٣٧٩).

(٢) «مجموع مؤلفات الشيخ العلامة السعدي» (٢٣/ ٣٨٥).

(٣) نفس المصدر (٢٣/ ٣٦٣).

(٤) نفس المصدر (٢٣/ ٣٦٦).

(٥) نفس المصدر (٢٣/ ٣٧٥).

والشيخ السعدي -رحمه الله- كان مُلِمّاً بهذا المعنى في جميع خطبه، وأهم ما اهتم به الشيخُ الإصلاحَ التعليميَّ، وذلك لِيَقينِ الشيخ أن صمَّام الأمان لبناء مجتمع إسلامي رشيد هو التعليم الذي يجمع بين العلوم الدينية والعلوم الدنيوية.

وفي هذا الصدد عقد خطبة بعنوان: "**خطبة في إصلاح التعليم**"، أكَّد فيها على توجيه المُتعلِّمين إلى علوم الدين، وغرس «**هذا الغراس الجميل الباقي في أذهان الناشئين، فبذلك تصلح الأحوال وتزكو الأعمال، وبذلك يتمُّ النُّجْح في الحال والمآل، وبذلك تصلح العقائد والأخلاق، وبه يسير التعليم إلى كل خير ويَنْساق، ولا يتم ذلك إلا بتَخَيُّرِ الأساتذة الفضلاء الناصحين ومُلاحظتهم التامة لأخلاق المتعلمين، وأن يعلق النجاح والشهادات الراقية لمن جمع بين العلم والدين**»[1].

وفي خطبة أخرى عنونها الشيخ -رحمه الله- بـ«**خطبة في التحذير من المدارس الأجنبية المنحرفة**»، أبرز من خلالها استهداف أعداء الدين للنَّشْء من خلال بناء مدارسهم التي تفسد العقائد والأخلاق، وتُخرج جيلا من الشباب لا صلة له بالدين «**مُتهَكِّمين ومستهزئين بأسلافهم وآبائهم وإخوانهم، مستبدلين من الأخلاق الجميلة كل خلق رذيل، منحرفين من الصراط السوي إلى منجرف السبيل**»[2].

ثم حَذَّر الحاضرين من خطر هذه المدارس، فقال -رحمه الله-: «**كيف يرضى مسلم أن يختارها لأولاده وهم عنده ودائع وأمانات؟ وكيف يضعهم في شبكة الهلاك؟ فهذا أكبر الخيانات، وكيف يرضى أن يخسر ولده بسعيه واختياره، ويذهب عملُه سدى، بل ضررا إذا باءَ بِغَبْنه وخَساره؟ ألم يكن عندكم وفي بلادكم من مدارس الحكومة ما يحصل به المقصود، وفيها الأساتذة المعروفون بالعلم**

(١) «مجموع مؤلفات الشيخ العلامة السعدي» (٢٣/ ٢٧٥).

(٢) نفس المصدر (٢٣/ ٣٠٣).

والدِّيـن وبذل المجهـود؟ ألم تبذُل الحكومة لراحة الجميـع خيرَ مجهود؟ ألم تروا من آثار أعمالهم ومنفعة المتعلمين ما هو محسـوس ومشهود؟ فقِيمَ الرغبة بعد هذا في مـدارس الأجانـب التي نفعها الدنيوي طفيفٌ بالنسـبة إلى ما فيهـا من الأضرار، وعاقبة المتخرجين منها في الغالب الهلاك والبوار؟»[1].

وما ذكره الشـيخ السـعدي -رحمه الله- في آخر هذه الخطبـة يُوضِّح بجلاء ما تقوم به المملكة العربية السـعودية في عهد الملك عبد العزيز -رحمه الله- وفي ظل الحكومة الرشيدة من اهتمام بارز بميدان العلم والمعرفة، وتحصين النشء من كل ما يُفسد دينهم ودنياهم، وهذا يعرفه القاصي والداني ولله الحمد.

(١) نفس المصدر (٢٣/ ٣٠٣).

الخاتمة

فهـذه إذن أهم معالم الدعوة المسـتنبطة من خُطب العلامة السـعدي -رحمه الله- أبان فيها عن حِسِّه الدعوي، وعن اهتمامه بإرشاد الخلق، وتعليمهم وتثقيفهم.

-رحمه الله- تعالى، ورفع درجاته في الآخرين وأسكنه جناته في عليين.

ولقد خلُص البحث في هذا الموضوع إلى:

- أهمية دراسة شخصية العلامة السعدي من كل جوانبها العلمية.
- يعتبر مجال الدعوة من أهم ركائز علم الشيخ السعدي، وأولى اهتمامه.
- اهتمام الشيخ السعدي بتنويع أساليب الدعوة، وذلك واضح في آثاره العلمية.
- تعتـبر الخطـب المنبريـة من أهـم المجـالات الدعوية التي اشـتهر بها الشـيخ السعدي.
- استيعاب خطب الشيخ السعدي لكل جوانب الشريعة الإسلامية.
- بيان مكانة الشيخ العلمية من خلال مواضيع الخطب ومادتها المتنوعة.
- اهتمام الشيخ السعدي بأحوال الناس وبقضايا الأمة الإسلامية.
- إبداع الشيخ السعدي في خُطبه، وذلك بتأثيره في الناس والحاضرين.
- اعتماد الشيخ السعدي في خطبه على المنهج النبوي.

وغيرهـا كثير مما يمكن أن يلاحظ ويستشـف من خلال هـذا البحث المتعلق بمعالم الدعوة عند العلامة السعدي -رحمه الله- من خلال خطبه المنبرية.

وأمـا عن التوصيـات التي يمكن تناولها والاهتمام بها سـواء مـن قِبَل الراعين لهذا المؤتمر وفقهم الله أو لغيرهم فهي كما يلي:

١. انعقـاد مثـل هذا المؤتمر الذي يُسـهِم في التعريف بعلماء الإسـلام رحمهم الله والإشادة بهم، وربط الأجيال القادمة بعلمهم وتراثهم.

٢. اقتراح كتب العلامة السعدي ضمن المناهج التعليمية في مختلف المستويات والمراحل، كتفسيره المشهور، وبعض منظوماته التعليمية، والمتون الفقهية والحديثية.

٣. إصدار منحة سنوية تُعنى بالدراسات والبحوث المتعلقة بالعلامة السعدي -رحمه الله-.

هذا وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.

لائحة المصادر والمراجع

١. أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان. مؤسسة الرسالة- بيروت. ط١/ ١٤٣٢-٢٠١١.

٢. الإنسان الصالح وتربيته من منظور إسلامي لعلي خميس الغامدي. دار طيبة الخضراء- مكة المكرمة. ط١/ ١٤٢٤-٢٠٠٣.

٣. تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن كثير. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. دار طيبة- الرياض. ط٢/ ١٤٣٢-٢٠١١.

٤. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي. (ضمن مجموعة مؤلفاته).

٥. الجامع الصحيح لأبي عبد الله البخاري. دار الفكر - بيروت. ١٤١٩ - ١٩٩٨.

٦. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني. مصورة دار السعادة بمصر. مكتبة الخانجي ودار الفكر. ١٤١٦ - ١٩٩٦.

٧. الخطابة وإعداد الخطيب لتوفيق الواعي. دار اليقين-مصر. ط٣/ ١٤٢٠-١٩٩٩.

٨. الدعوة والأمن: العلاقة والآثار لعلي بن عبد الله البدر. دار التدمرية- الرياض. ط١/ ١٤٣٣-٢٠١٢.

٩. زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية. تحقيق عرفان عبد القادر حسونة. دار الفكر- بيروت. ط١/ ١٤١٨-١٩٩٧.

١٠. السنن لأبي داود السجستاني. اعتنى به مشهور بن حسن آل سلمان. مكتبة المعارف - الرياض. الطبعة الأولى.

١١. السنن لأبي عيسى الترمذي. اعتنى به مشهور بن حسن آل سلمان. مكتبة المعارف - الرياض. الطبعة الأولى.

١٢. السنن الكبرى. لأحمد بن الحسين البيهقي. تحقيق محمد عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية - بيروت. ط٣/ ١٤٢٤ - ٢٠٠٣.

١٣. صحيح ابن حبان. تحقيق محمد علي سونمر وخالص آي دمير. دار ابن حزم- بيروت. ط١/ ١٤٣٣ ـ ٢٠١٢.
١٤. فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي. (ضمن مجموعة مؤلفاته).
١٥. مجموع مؤلفات الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي. إشراف ومتابعة وتنسيق أبناء الشيخ. الدار العربية. دار الميمان- الرياض. ط١/ ١٤٣٢-٢٠١١.
١٦. مدارج السالكين بين منازل "إياك نعبد وإياك نستعين" لابن قيم الجوزية. تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي. دار الكتاب العربي ـ بيروت. ط٧/ ١٤٢٣ ـ ٢٠٠٣.
١٧. مسند الإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل. تحقيق جماعة بإشراف شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة ـ بيروت.
١٨. المسند الصحيح لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار الحديث ـ القاهرة. ط١/ ١٤١٨ ـ ١٩٩٧.